السمك لمن يعمل

في بداية العام (2009)، صدرت قصة أطفال بعنوان "لمن السمكة؟" لصقر السلايمة، ورسومات عصام أحمد، وتقع في 24 صفحة من الحجم الصغير.

ملخص القصة

إن أربعة رجال تقاضوا على سمكة اصطادها رجل منهم بصنارة أعطاها له رجل ثان منهم وبطُعم من ثالث، ومن بحيرة لرابع منهم. ومع أن الصياد وافق على قسمة السمكة على الأربعة، إلا أنهم رفضوا، وأخذ القاضي برأي السمكة الّتي قالت: "أنا لصالح وحده يا سيدي القاضي العادل، فأنا للذي يعمل فقط." (ص24).

obeikandl.com

وواضح أن الكاتب أراد أن يرسخ مفهوم العمل عند الأطفال، فالبحر كبير ومليء بالأسماك، ورزق الله واسع، "فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه". وهذا مهم جدًّا.

وعند قراءتي للقصة، تبادرت إلى ذهني قصة للأطفال ترجمها الدكتور محمد شحادة عن الروسية في العام 1979، عام الطفل العالمي، وتتلخص في أن "من لا يعمل لا يأكل". وهناك قصص عالمي كثير عن صيد الأسماك، والصراع مع البحر، ما يعني أن "التناص"، وتوارد الأفكار، أمران معروفان.

غير أن هناك بعض الملاحظات على هذه القصة، منها: يصف الكاتب قارب الصياد في السطر الثاني من القصة فيقول: "كان قاربًا قديمًا جدًّا، لأنه ورثه عن والده"، فما الداعي لكلّمة "لأنه"، وقد كنّى الكاتب ثلاثة من أبطال قصته بكنى لا داعي لها أيضًا؛ فأحدهم"أبو الضفادع"، والثاني "أبو فشارة"، وما معنى فشارة هنا؟ والثالث "أبو البلاوي". وفي بداية القصة وضع الكاتب الأسماء المكناة بين قوسين كي يتخلص من الإعراب الصحيح للأب، وهو أحد الأسماء الخمسة كونه مضافًا إلى اسم ظاهر، وهذا جائز، لأن الدارج في خطابنا المحكي أن نقول دائمًا "أبو فلان"- بشرط وضعه بين قوسين- مع أنه منادى مضاف، ويجب أن يكون "أبا فلان"، لأن الأسماء الخمسة ترفع بالواو، وتنصب بالألف،

وتجر بالياء. وفي الصفحة 23، تخلص الكاتب من القوسين، وأعرب كلمة الأب الإعراب الصحيح، حيث جاءت في القصة ثلاث مرات مجرورة بالياء، لكنه في الصفحتين اللتين تسبقانها، لم يستعمل القوسين، وأبقى كلّمة الأب مرفوعة بالواو، مع أن حكمها النصب، لأنها منادى مضاف.

وفي بداية القصة، جاء أن صياد السمك صالح أجاب أبا الضفادع قائلًا: "أصنع قاربًا جديدًا حتى أصطاد به" (ص6)، فقال أبو الضفادع: "ولِمَ كلّ هذا التعب والعناء؟ وأنا أعطيك صنارة جديدة." (ص7)، فذاك يريد قاربًا، وهذا يريد له الراحة فأعطاه صنارة، وهذا لا يستقيم في البناء القصصي، فصالح بحاجة إلى قارب وليس إلى صنارة.

كما أن أبا البلاوي عرض على صالح قائلًا: "عندي بحيرة فيها كلّ أصناف السمك" (ص13)، ومن تلك البحيرة اصطاد صالح السمك، موضع الخلاف، ومعروف أن البحيرة ملكية عامة، ولا يملكها شخص بعينه.

وفي الصفحة الأخيرة، أخذ القاضي الحكم من السمكة عندما استنطقها، والسمكة ليست متهمة حتى تحضر المحكمة، وهل يأخذ القضاة أحكامهم من أفواه ضحايا الخلافات؟! وهل هناك ضحية تختار قاتلها؟!

وهناك ملاحظتان على الإخراج الفني، والحشو غير المبرر، فقد ورد على الغلاف الأول، وتكرر في الصفحة الأولى: "تأليف صقر السلايمة"، ولا داعي مطلقًا لكلمة تأليف. كما ورد في الصفحة الثالثة شكر لعشرة أشخاص هم من "ساهم ودعم حتى يخرج هذا الكتاب"، ويبدي الكاتب أسفه لمن نسيهم من الشكر، فهل قصة أطفال كهذه تحتاج إلى جهود هذا العدد الكبير من الأشخاص؟!

الرسوم

الرسومات لعصام أحمد، كما ورد على الصفحة الأولى، ولعل الغلاف الأول يختصر الحديث عنها، حيث إن الرسم يحوي طاولة عليها مطرقة، ويجلس خلفها القاضي، يستشف ذلك من خلال المطرقة، ومن خلال الميزان المتدلي في أعلى الصورة، وهناك ثلاثة رجال، أحدهم ضخم الجثة، يقف أمامهم طفل، وبجانبهم سمكة. واللوحة بمجملها تحمل وجوهًا أجنبية لا علاقة لمنطقتنا وبيئتنا بها، فرسم القاضي هو رسم كاريكاتوري جاف لامرأة غريبة الملامح، وأحد الأشخاص الأربعة طفل ويبدو أنه صياد السمك، وهذا لا يستوي مع مضمون القصة.

(ج.س)